حضرة سيدنا الشيخ

محمد الزاهد القاضي السمرقندي

(قدّس الله سرّه العزيز)

خلاصة المتقين المتفننين وفذلكة المرشدين الراشدين وصفوة الأولياء الزاهدين، ألقت عليه الخلافة الربانية أقليدها وأولته السلطنة الروحانية طريقها وتليدها، جمع بين العلوم الإلهية والشرعية واستوعب فصائل الطريقة والحقيقة فأصبح مصدر الواردات اللدنية ومظهر العلوم والمعارف الغيبية، فهو المفرد العلم في العلم . والقلم الذي قام بأعباء الأسرار والإمداد وتدبير دولة إرشاد العباد فتبارك من شيد بالهامات الصادقة قدره وسدد بالكرامات الخارقة أمره وأتم في أوج عرفانه بين أقرانه بدره .

كان قدّس الله سرّه من أولياء أصحابه وغيبة أسراره وقبلة خطابه ووارث علومه وأنواره، صنف كتاباً في ذكر فضائله وخصائصه وشمائله، سماه " سلسلة العارفين وتذكرة الصدّيقيين" يقول فيه قدّس الله سرّه إني انتظمت في سلك خدمه سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ولم أزل حتى انتقل سنة خمس وتسعين، فكانت مدة تشرفي بخدمته إثنتي عشرة سنة ولله الحمد على ذلك، وكان سبب إتصالي بجنابه أني خرجت مع رجل من طلبة العلم إسمه الشيخ

نعمة الله من سمرقند نقصد هراة لطلب العلم، فلما وصلنا إلى قرية شادمان أقمنا في ها أياماً من شدة الحر فبينما نحن كذلك إذ حضر إليها سيدنا الشيخ رضي الله عنه وقت العصر فذهبنا لزيارته، فسألني : من أين أنت ؟ فقلت : من سمرقند . فطفق يحدثنا أجمل حديث وذكر خلال كلامه جميع ما كننته في سري فرداً فرداً حتى أخبرني عن سفري إلى هراة فلما وجدت ذلك تعلق قلبي به كل التعلق. ثم قال لي : إن كان مقصودك طلب العلم هو متيسر هنا، فتيقنت أنه ما من خاطر إلا وقد إطلع عليه هذا ولم يخرج من قلبي محبة السفر إلى هراة فلما كوشف بذلك قال لي أحد أتباعه إنه مشغول بالكتابة فتريثت قليلاً فلما فرغ قام من مقامه وأقبل نحوي، ثم قال : أخبرني بجلية أمرك، هل مرادك من هراة تحصيل الطريق أو العلم ؟ فدهشت من جلالته وسكت، فقال له رفيقي : بل الغالب عليه الطريق، وإنما جعل طلب العلم تستراَ، فتبسم وقال : إن كان كذلك فهو أفضل وأحسن ثم أخذني إلى جهة بستان له، فلم نزل نسير حتى غبنا عن أعين الناس ثم وقف، ومنذ أخذ بيدي جاءتني غيبة إمتدت معي حتى استغرقت زمناً طويلاً، فلما أفقت رجع يحدثني رضي الله عنه ثم قال : لعلك تقدر أن تقرأ خطي وأخرج من جيبه ورقة فقرأها وطواها ودفعها إلي وقال : إحفظها وإذا فيها حقيقة العبادة، خضوع وخشوع وإنكسار يظهر على قلب إبن آدم من شهود عظمة الله تعالى وهذه السعادة موقوفة على محبة الله تعالى وهي موقوفة على إتباع سيد الأولين والآخرين عليه من الصلوات أكملها ومن التحيات أتمها وهو موقوف على معرفة طريقه، فلزم لذلك

بالضرورة مصاحبة العلماء الوارثين لعلوم الدين وتلقي العلوم النافعة منهم حتى تظهر المعارف الإلهية المنوطة بمتابعة النبي ε ، ومجانبة علماء السوء الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع الدنيا وسبباً للجاه، والمتصوفة الرقاصين وأهل السماع الذين يتناولون ما يجدون من حلال وحرام وعدم الإصغاء للمسائل المخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من م شكلات علم الكلام والتصوف والسلام، ثم رجع إلى مجلسه فقرأ الفاتحة ورخص لي بالسفر إلى هراة فتوجهت كما أمرني قاصداً إلى بخارى فما سرت خطوات إلا وأتبعني بكتاب إلى حضرة الشيخ كلان نجل الإمام الجليل مولانا سعد الدين الكاشغري قدّس الله سرّهم . وإذا فيه عليك بملاحظة أحوال حامل هذا الكتاب ومحافظته عن مخالطة الأغيار فلما رأيت ذلك أخذ بمجامع

قلبي محبة وإخلاصاً،ولكن ما انثنى عزمي بل أخذت الكتاب ومضيت فوجدت في أثناء الطريق زحمة تامة ودغدغة قوية، من جملتها إني كنت كلما سرت مرحلتين أو ثلاث ضعفت دابتي وعجزت حتى إني بدلت ستة أفراس إلى بخارى، فلما وصلت إليها رمدت عيني رمداً شديداً بقي مدة أيام، فلما شفيت تهيأت للسفر فأصابتني حمى مزعجة جداً، فنظرت حينئذ في نفسي أني إذا سافرت ربما أهلك، فرجعت عن ذلك العزم وانقطع أملي من السفر وعزمت على الرجوع إلى خدمة الشيخ قدّس الله سرّه، حتى إذا وصلت إلى تاشكند أحببت أن أزور الشيخ (الياس العاشق) بها أولاً، فأودعت ثيابي وكتبي ودابتي عند أحد

الأحباب وذهبت فلقيني أحد خدامه فقلت له : ارجع معي لنـــزور الشيخ، قال : وأين دابتك ؟ قلت : أودعتها عند فلان . قال : إذهب فأت بها إلى داري ثم نمضي للزيارة . فبينما أنا راجع، إذ سمعت قائلاً يقول لي : قد فقدت دابتك بما عليها، فتحيرت وتغيرت وجلست أتفكر في ذلك، فوقع في قلبي أنه يحتمل أن يكون ذلك لعدم رضاء حضرة الشيخ بهذه الزيارة، فإن السادات رضوان الله عليهم لهم غيرة عظيمة على أتباعهم فكيف يكون الشيخ قدّس الله س رّه متوجهاً إليك هذا التوجه وأنت تقصد زيارة غيره ؟ فلا بد أن تصاب بأكثر من ذلك فأعرضت عنها وعقدت النية على زيارة سيدنا ومولانا قبل كل شيء، فما تم هذا الأمر إلا وجاءني شخص فقال لي : وجدت الدابة وما عليها،

فأتيت إلى من أودعتها عنده فقال لي : يا محمد إني كنت ربطت دابتك هاهنا وبعد لحظة غابت عن نظري فطفقت أفتش عليها فما وجدتها حتى يئست منها ثم رجعت فوجدتها واقفة وسط السوق بين الناس ولم ينقص من ما عليها شيء مع ما في السوق من كثرة الإزدحام، فعجبت لذلك كل العجب . ثم أخذتها وتوجهت إلى سمرقند، فلما وصلت عند حضرة الشيخ رضي الله عنه، تبسم وقال : أهلاً وسهلاً ومرحباً، فلم أفارق عتبته بعد .

وقال قدّس الله سرّه :كان رضي الله عنه إذا تكلم بالحقائق كثيراً ما يوجه خطابه إلي وسألني مرة فقال : هل أنت إذا سمعت مني كلام على الحقائق تغير عقيدتك التي تلقنتها

من أبويك في صباك، وتلقيتها من أستاذك ورسخت في قلبك ؟ قلت : لا . قال : إذا أنت أهل لسماعها .

وكتب فيه أيضاً أن سيدنا ومولانا مرض مرة فأمرني أن آتيه بطبيب من هراة فجاءني مولانا قاسم قدّس الله سرّه، وقال : يا مولانا محمد أسرع في ذهابك وإيابك فإني لا أستطيع أن أرى سيدنا ومولانا مريضاً وحرضني تحريضاً تاماً فلما جئت بالطبيب وجدت الشيخ قدّس الله سرّه قد شفي ومولانا قاسم قد توفي، وكانت مدة غيابي عنه خمسة وثلاثين يوماً فسألت الشيخ عن سبب وفاته، فقال : جاء في ذات يوم فقال : إني قد فديتك بنفسي . فقلت له : لا تفعل هكذا إن المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب فقال : ما جئتك مستشيراً في هذا الأمر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجئت، وقد قبل الله عز وجل مني ذلك، ولطالما راجعته في ذلك ونهيته عنه فما قبل ومازال مصراً على جوابه الأول وانصرف . قال في اليوم الثاني إنتقل مرض الشيخ بعينه إلى مولانا قاسم وتوفي به . وذلك يوم الإثنين لستة خلت من شهر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وبرأ الشيخ تماماً فلم يحتج للطبيب الذي أتيت به .

ولما احتضر سيدنا ومولانا رضي الله عنه إجتمع عنده جميع أولاده وأحفاده وأصحابه الخاصة والعامة فقال لهم ليختار كل منكم إما الغنى وإما الفقر، فقال له الشيخ محمد قدّس الله سرّه :" إختياري إختيارك "، فقال أنا أختار الفقر ثم إلتفت لخازنه وقال له : أعطه أربعة آلاف " شاهر خية" (من عملتهم) ليستعين بها على مؤونة الفقراء الذين يجتمعون عنده ويتفرغ لخدمتهم . وله أصحاب كالنجوم في هداية الخصوص وبركة العموم ومن أهم خلفائه من رباه بالجد والإجتهاد ولقنه النفي والإثبات وجعله في سدة الإرشاد بعد أن وقف

على أحواله وأكمل له رياضاته وخلواته وورثه السر الأعظم وعهد له بالنفس القدسي وأسرى

إليه سر هذه النسبة الزكية للطريقة العلية سيدنا ومولانا الشيخ درويش محمد السمرقندي قدّس الله أسرارهم ورضي الله عنهم . آمين .

محمد زاهد البخاري

حياته المعنوية قدّس الله سرّه

سيدنا محمد زاهد البخاري بن عبد الفتاح السمرقندي أعلى الله تعالى درجاتهم دائماً .

ولد سنة 835 هـ . في الأول من شهر صفر الخير وقت الإشراق وإنتقل في سنة 917 هـ يوم السادس من جمادي الأخير وقت الضحى وكان له من العمر إثنان وثمانين عاماً .

إشتهر زهده بين أهل السموات والأراضين ولم يظهر وليّ مثله في الزهد ، والزهد عن الملكوت وعوالم السموات الحاصل للأولياء شكل ، بخلاف شكل ما حصل لمحمد زاهد قدّس سرّه فكان زاهداً عن جميعها ، يقول سيدنا عبيد الله الأحرار قدّس سرّه زهده أعلى من زهد إبراهيم بن الأدهم بألف درجة .

بداية حاله : عندما كان في السابعة عشر من عمره خرج مع بعض العلماء أي علماء سم رقند إلى بلدة " هراة" لزيارة العلماء ، وكان من خصائصه الوصيّة لكلّ من لقيه سواء إنسان أو

حيوان حتى إذا لقي خنـــزير يقول له لا تأكل النبات إلاّ من المكان الخالي الذي ليس له مالك لئلاّ

يكون لك العقوبة يوم القيامة ، ويقول للفرس لا تأكلوا من هذا النبات الفلانيّ لئلاّ يقع الفتور في تسبيحك ، وهكذا الحال إلى أن وصل إلى هراة ، وبلدة " هراة" معدن العلماء ولكنهم كانوا قد أفتوا بشرب المسكر قدراً لا يحصل به السكر ، ويفتون إن كان المسكر يسكر بخمسة أقداح فالقدح الخامس حرام وما قبله حلال فلما وصل محمد زاهد إلى هراة لقي ه بائع المسكر مع جرّته فكسر جرته فقال البائع لما كسرتها ؟ قال إنيّ لا أريد أن تدخل أنت ومن شرب في النار، فقال إنّ إسماعيل البخاري ونعمة الله وباقي العلماء قد أفتوا بحلّ ما أبيعه ، فقال فتواهم يشير

وينبئ إلى أنّهم أعلم من الله تعالى ورسوله ε؟ وهكذا إنتشر ه ذا الخبر بين أهالي هراة فكرهوه ثم قالوا له لا يترك الضيف في القرية فوق ثلاثة ايام ، فليخرج أيّاً كان من القرية ، فوصل الخبر إلى محمد زاهد قدّس سرّه فقال نعم أخرجوني إن كنتم تقدرون عليّ والاّ فماذا تفعلون فالحكم للغالب ، ثم إنّهم قصدوا على إخراجه من القرية فأرسلوا جماعة من الرجال لإخراجه وحتى وصولهم إليه وقعوا في البلايا فانكسرت ساق هذا وشلّت يد الآخر ومات الآخر وهكذا فرداً فرداً قد وقعوا في البلايا ، ثم قال لهم محمد زاهد أنتم لا تقدرون على إخراجي اليوم أنا غالب عليكم فكونوا مسترحين ، ومن يغلب عليّ اليوم فلأنا عبده وخادمه ،

ثم في يوم الجمعة ذهب محمد زاهد إلى الجامع وقال يا أهل هراة لا تخرجوا من الجامع حتى أكلّمكم ونادى إسماعيل ونعمة الله وسائر العلماء ليحضروا وقال لهم : إنّ رسول الله ε قال :

« **كل مسكر أو مفترّ حرام** » ففصل معنى هذا الحديث وقال إنّ الله تعالى أخذ علينا العهود يوم العهد والميثاق بإتيان كلمتي الشهادة على وجهها وأرسل الرسل عليهم السلام لتبين الأحكام الخمسة المبينة عليهما، وإتيان الشهادة عليّ وعليكم واجبة وكذا إجتناب موانعها واجب لأنّ ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب فكما يجب علينا إجتناب المسكر يجب إجتناب ما يوجب الغفلة والفتور من طعام وشراب ولباس وغيرهما بنصّ الحديث المذكور لأنّ الغفلة والفتور من موانع الشهادة الواجبة علينا إتيانها بل ما يوجب الغفلة أعظم ضرراً من المسكر لأنّه لا يتفطن ولا يصحو ولا يخطر الإستغفار والتوبة ببال صاحب الغفلة والفتور بخلاف المسكر فإنّه وإن كان كذلك يحتمل أن يكون له التنبّه والإستغفار والتوبة والحياء . والفرق بينهما أنّ السكران لا يفرق بين كونه لدى الأغيار وكونه منفرداً أمّا صاحب الغفلة والفتور يفرق ويطلب أن لا يعلم الأغيار كونه بلا فرق ، بلا فهم وإدراك ما يكون يوم الجزاء .ثم قال يا علماء هراة تحليلكم هذه المحرمات بهذه الفتوى خروجكم عن متابعة الرسول ε وعدم تقواكم فسكتوا جميعاً ، ثم تكلم إسماعيل البخاري وقال يا محمد زاهد الآن فهمت مقولتك وكوننا خارجين عن الطريق المستقيم ومراد الحديث فنطلب منك الآن الضيافة إلينا في هذه

الليلة فقبل وذهب إلى بيته وكان فيه أطعمة شتى بحيث تعجب الناظرين أي ما لذّ وطاب من النعم ، وكان في البيت خمسين عالماً من العلماء الكاملين ، وجلسوا كلهم وجلس معهم ولكنه قدّس سرّه إمتنع عن الأكل وقال يا إسماعيل إن أنت أذ نت لي أن لا آكل لأنّ في طعامك هذا ألف وخمسماية مضرة وبيّنها كلها ثم طلب من إسماعيل

إحضار زوجته إلى الباب فلمًا حضرت قال يا جارية ، طعام المنكرة للأولياء حرام وأنت قصدت إيقاع هؤلاء العلماء في بحار المعاصي ، وقال لها خذي سبحتي هذه وأمسحي بها جسدك فأخذتها ولكن لم تقدر على المسح فخرّت وزال عقلها وصاحت صيحة عظيمة ، فأمر زوجها بمسحها على جسدها فما إن فعلوا حتى أفاقت وقلبها مجرد من حب الدنيا بالكلّية ومتعلق بالله تعالى وصارت من الصالحات القانتات ، ثم قال لجلسائه هل بقي فيكم حشّ على هذا الطعام فقالوا لا ، ولكن لم يزول الحشّ بالكلية فأمر بنقل هذا الطعام من عنده وتقسيمه على الأهالي وقال لزوجة إسماعيل الآن إفعلي لنا الضيافة بسويق فجائت به فأعطى منه لكل واحد ثلاث لقمات وقال في نفسه يا رب العزة تحقق ما قاله شاه النقشبندي قدّس سرّه يكون الوصول لخمسين عالم بثلاث لقمات السويق فحصل لجميعهم كلّ الكمالات ببركة تلكم اللقمات وأذن لهم جميعاً في الطريقة الشاذليّة ، لأن غالب أهل الطريقة الشاذليّة يؤذنون لأداء الشكر للرزق الحلال ، وجميع هؤلاء العلماء بلغوا إلى ما بلغوا لتأديتهم الشكر للقمات

المذكورة حتى إنهم إجتمعوا مع روحانية رسول الله ε وقال من ميزّ الطعام من الحرام والشبهة كان له الوصول .

وكان يرشد الناس في بدايته بأمرهم أكل الحلال ويقول الشبهة وما يوجب الغفلة مثل الخمر المسكر بلا فرق بل أضر منه . وهراة بلدة عظيمة ، أقام فيها سبع سنين قاضياً ومرشداً ومدرساً بتفصيل معاني الأحاديث النبوية على مرتبة الخواص وقد أرشد هناك إثنى وعشرين ألفاً على الطريقة الشاذليّة وأربعة وعشرين ألفاً على الطريقة الرفاعية وإثنى وسبعين ألفاً على الطريقة البدويّة ، وبعد هذا كلّه جاءه الإذن للإرشاد في الطريقة النقشبنديّة العليّة .

ثم ذهب إلى سمرقند وتصدّق بجميع ماله سوى لباسه وكان له خمسة وعشرون ولداً وثلاث زوجات فتركهم بلا مأكل ولا ملبس إلاّ ما ستر العورة ثم قال لأزواجه وأولاده إنيّ أهجر الخلق طراً فأطلبوا مني ما شئتم الآن حيث بعد الآن فلا ترونني إلاّ في المحشر وإلى الآن لم تروا حقيقة محمد بن زاهد وأوصى إلى كل واحد منهم وصيّة وكان له إبن إسمه بهاء الدين فدعى له وبصق في فمه ثلاثاً فكشف له في اللحظة جميع ما في السموات فقال له أبوه يا ولدي

لا تنظر إلى تلك المخلوقات ولا تخبر بها أحد بل أنظر إلى الخالق .ونسله كلهم عاشوا إلى الآن بخدمة الأغيار ولم يحصل لهم المعيشة الكافية .

ويقول مولانا قدّس سرّه الآن من نسله في أشترخان يخرجون الأسماك من البحر ويعيشون بها، وقال قدّس سرّه" إني ّ لم أجد ولم أعلم أعظم من هذا أي الفقر والعجز لأتركه لنسلي ثم خرج من البيت وقت العشاء ولم يعلم أحد أين ذهب سوى الأوتاد ثم أقام في جبل " قِلطِم "

نحو سبعة عشر سنة يأكل النبات مرة واحدة في كل خمسة أشهر من وقت إعتزاله عن الأهل وإقامته في ذلك الجبل ، وهذا الحال أوّل حال نهايته ، ولم يكن الإذن ولو لوليّ واحد التوجه

إلى غير مريديه إلاّ لمحمد زاهد فكان له الإذن للتوجه إلى كلّ الأمة مريداً ك ان أو غيره ، ومن عادة الأولياء الإجتماع في كل ليلة إثنين في شهر ربيع الأول في البرزخ للمولد الشريف وقد قال لهم رسول الله ε لا إذن للإرشاد في ذاك الإجتماع إلاّ لمحمد زاهد لأنّه يكون الكفاية من إرشاده لكل المخلوقات ، فتفرّد به قدّس سرّه ثم بعد ذلك خرج إلى سف ر الحج . فحين خروجه لذاك السفر رأى أهل المدينة المنورة كلهم في المنام أنّ رسول الله ε ليس في حجرته الشريفة بل خرج وذهب أمام رجل عظيم وشيخ جليل خرج إلى الحج لمرافقته واستقباله ، فعلم أهل المدينة أنّه سوف يجيء رجل عظيم الشأن ، وفي سفره هذا دخل إلى الإسلام مائتان وثلاثة آلاف نصراني ، وتاب بالتوبة النصوح إثنان وأربعون ألف

بدويّ ، وأخرج ثلاثة دفائن من الكنوز ووقفها وتصدّق بها في سبيل الله تعالى ، فلما تمّ الحج عاد إلى جبل قلطم متخفياً عن الخلق وكان دأبه فيه دائماً التوجه والدعاء وموضع دفنه في سمرقند ولم يعرف قبره في ذلك الزمن إلا إثنان وعشرون وليّاً ، وإذ دفن هنالك أخرجت أجسام النصارى واليهود من هذه المقابر إلى أصبهان بواسطة الملائكة وفيها قبر هارون الرشيد ، ولا يخلوا الآن قبره من نحو أربعة وعشرين ألف وليّ زائرين كل يوم .

وبقي من نسله إلى الآن على حال أن يكونوا مستأجرين خادمين لمن أستأجرهم بإختيارهم وهذا التواضع الحاصل لهم إرثاً منه أعلى الله تعالى درجاتهم دائماً ونفعنا بتوجهاته آمين .

وكان جسمه متوسط بين الطويل والقصير ، نحيف، ضعيف، لحيته خفيفة ، لونه أسمر ، عيناه مائلان إلى الحمرة ، صوته رقيق ، في ساقيه ضعف ، وله قوة عظيمة عجيبة في الكتابة وإنشاء الكلام المنظوم .

ومن الله التوفيق .